اليقين في مواجهة الإلحاد

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله سيدنا مُحَمَّد صلى الله عليه واله وسلم وبعد؛؛

فإن مسألة اليقين وحسن التوكل، وفهم التدبر، من الأمور التي باتت غاية في الأهمية، ومن الضرورة بمكان، في زمان تبدلت فيه المفاهيم، واتسعت فيه دوائر المعرفة بالشكل الذي بات يمثل خطرا وتهديدا على شبابنا، وأولادنا، ويجعلهم عرضة للأفكار المتطرفة، خصوصا مع غياب الدور التوعوي والتربوي، أو تهميش دور الدعاة، وتكثيف دعوات الإلحاد والتغريب، والحيلولة دون وصول شريحة كبيرة من الشباب إلى صحيح الدين، فباتوا عرضة لرياح الملحدين، وأفكار المخربين، يقصدون من ذلك تدمير الكيان الأعظم، وإطفاء النور الأكمل، لكن الله متم نوره ولوكره الكافرون المرجفون!

بداية: مفهوم اليقين: اليقين في اللغة– العلم وإزاحة الشك، وتحقق الأمر وقد أيقن يُوقِن إيقاناً فهو مُوقِنٌ، ويَقِنَ يَيْقَنُ يَقَناً فهو يَقِنٌ[1] والفرق بين العلم واليقين: أن العلم هو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة، واليقين هو سكون النفس وثلج الصدر بما علم[2]

ويقول ابن سيده: كل يَقِين عِلْم وَلَيْسَ كلُّ علم يَقيناً وَذَلِكَ أنّ اليّقِينَ علْم يَحْصُلُ بعدَ استِدْلالٍ ونَظَرٍ لِغُمُوض المعْلوم المنْظُور فِيهِ أوْ لإشكال ذَلِك على الناظِر، عَليّ، وَلذَلِك قالَتِ الأوائِلُ إن اليَقِينَ هُوَ العِلْم الثانِي أَي أَنه لَا يُعْلَم وَلَا يُدرَك عَن بَدِيهة ولكِنَّه بعد بَذْلِ الوُسْع فِي التَعَقُّب وإنعام النَّظَر والتَّصَفُّح[3]

وعليه فإن اليقين يحتاج إلى بذل الجهد، ومجاهدة النفس، ومطالعة أهل العلم، والجلوس بين أيديهم، وتصفح تراثهم، حتي تتضح الفكرة، ويزول الشك ويثبت الإيمان، وتقوى العقيدة، وتحلو الحياه، وتطيب الآخرة بإذن الله.

واليقين في كلام الفلاسفة: اطمئنان النفسِ إلى حُكْم مع الاعتقاد بصحّته، علم حاصل عن نظر واستدلال

وقيل: عبارَة عَن الْعلم المستقر فِي الْقلب لثُبُوته من سَبَب مُتَعَيّن لَهُ[4]

---

[1] العين، الفراهيدي، جـ5، صـ220.
[2] الفروق اللغوية: العسكري، صـ374.
[3] المخصص، جـ1، صـ258

وَقَالَ السري الْيَقِين السّكُون عِنْد جولان الْمَوَارِد فِي صدرك ليتقنك ان حركتك فِيهَا لاتنفعك، وَلَا ترد عَنْك مقضيا واليقين بذل الْجهد التحصيل، واستفراغ الوسع، وَقيل: إِذا اسْتكْمل العَبْد حَقِيقَة الْيَقِين صَار الْبلَاء عِنْده نعْمَة والمحنة منحة، فالعلم أول دَرَجَات الْيَقِين وَلِهَذَا قيل: الْعلم يستعملك وَالْيَقِين يحملك، فاليقين افضل مواهب الرب لعَبْدِهِ وَلَا تثبت قدم الرضاء إلا على دَرَجَة الْيَقِين قَالَ تَعَالَى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: 22] قَالَ ابْن مَسْعُود: الْعَبْد تصيبه الْمُصِيبَة فَيعلم أَنها من الله فيرضى وَيسلم فَلهَذَا لم يحصل لَهُ هِدَايَة الْقلب وَالرِّضَا وَالتَّسْلِيم إلا باليقين[5]

والسؤال كم مرة ورد لفظ اليقين في القرآن ومدلوله: ورد معرفا بال في سبعة مواضع منها:

1- قول الحق ﷻ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر: 99] ذكر بعض أهل التفسير أن اليقين المراد به الموت[6]، إذا أنه الحقيقة الدامغة التي لا تقبل الشك أبدا ولذا نجد أن الآية التي تليها في مطلع سورة النحل ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُۚ سُبْحَٰنَهُۥ﴾ [النحل: 1]

2- وقوله ﷻ ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: 95] أي أن إخبار القرآن كله في وقائع الواقعة، وفي غيرها لحق اليقين لا يعتريه الشك، ولذا نجد أن الحق سبحانه يستصرخ العقول، والقلوب والأفئدة، وينذرهم نار تلظي، فيؤكد أولا بأن وباللام، وبال كل هذا ليشدد ويردع، وحَقُّ الْيَقِينِ من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: لهو اليقين الحق[7]

3- وقوله ﷻ ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ﴾ [التكاثر: 5] وعلم اليقين المشاهدة والمكاشفة، التي لا تقبل الشك أبدا، أو الريب قيد أنملة

---

[4] الكليات: أبو البقاء الحنفي، صـ979.
[5] مفتاح دار السعادة: ابن قيم الجوزية، جـ1، صـ155
[6] تفسير التستري، صـ76؛ تفسير الطبري، جـ14، صـ154.
[7] تفسير الطنطاوي، جـ14، صـ190

قال بعض أهل العلم : العلم بالله إن كان بالأدلة فهو علم اليقين، فإذا قوي فهو عين اليقين، فإذا فني فيه فهو حق اليقين. ويقال: علم اليقين كالناظر إلى البحر، وعين اليقين كراكب البحر، وحق اليقين كمن غرق في البحر[8]

وعليه فإن اليقين باب عظيم: وبحر متلاطم الأمواج، يحتاج إلى معلم ماهر، حتي لا يغرق المرء في ظلمات جهله، وغياهب هواه، ويمكن القول بأن أسباب تحقيق اليقين تتحقق على هذا النحو:

ج معلم مربي	م متأهب راغب	ل واضح مسلوك

الركن الأول: الشيخ المعلم: إن رسول الله ﷺ تلقى العلم من لدن الحق ﷻ بواسطة الوحي، عن طريق الأمين جبريل عليه السلام، فكان بمثابة المعلم الأول تلك الأمة الربانية، ينزل بوحي السماء على قلب سيدنا رسول الله ﷺ مدة استغرقت ثلاث سنوات، فإذا كان سيدنا رسول الله ﷺ الذي اصطفاه ربه، وأخلصه لنفسه، ورباه بعين رعايته، وطهر قلبه وبدنه وروحه من رجس الشيطان وهمزه ونفثه، مع شدة نبوغه، وفرط فطنته، وجمال خلقته، وكمال عقله، فما من عقل خلقه الحق سبحانه مثل عقل سيد الخلق ﷺ، قد احتاج لتلك المدة ليهضم أمر الشريعة، ويعرف كل ما يتعلق بكتاب الله وأحكامه، فما بال الطويلب، الذي يخطو أولى خطواته نحو عالم المعرفة، ودنيا الناس، وبحر العلوم، وإني لأعجب من بعض الغلمان، أحداث الأسنان، لا يزالون في مهد العلوم ما بلغوا الفطام، ولا نصيفه، يتجرؤون على كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ، ويتطاولون على القمم الشامخة من السلف رضوان الله عليهم، ويقولون هم رجال ونحن رجال! فإذا كان مشايخنا من مشايخ وكبار علماء الأزهر، إذا ذكر أحد الفقهاء الأربعة، أو غيرهم من أئمة الفقه والحديث والتراجم والرجال والطبقات والسير، يقولون بعد الترضي عليهم، والدعاء لهم بالرحمة والمغفرة، هم رجال ونحن عيال!

ويحكي لنا المرادي في كتابه سلك الدرر: عن أحد المدرسين النابهين كانت له مهارة في استخراج المسائل، وتصويرها بأوجز عبارة، أعجبه زيادة فهمه، فتعلق بحبال العقل والخيال، وترك ميزان النقل في تتبع الأقوال، وقال هم رجال ونحن رجال، وزاده به حاله، حتى زعم أنه ممن حقق في دعواه كالكمال وتعرض بالاعتراض على الامام

[8] البحر المحيط، البدر الزركشي، جـ1، صـ81

مُحَمَّد بن إدريس، فتبدلت تلك الفنون بأنواع الخبل وصنوف الجنون، كما قيل والجنون فنون، ولم يزل جليس بيته إلى أن مات!![9]

وينبغي علي الشيخ أن يتحلي بالآتي:

- مكارم الأخلاق، وهو وصف جامع لكل خلق نبيل قويم، من عفو ورحمة، ورحابة صدر، وأن يكون قدوة، وأن يعلم أنه يتحدث عن سيد الخلق ﷺ، فعليه أن يتأدب بآدابه ﷺ، وهذا أنس رضوان الله عليه خادم سيدنا رسول الله ﷺ يقول عن النبي المعلم ﷺ خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي أُفًّا قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟»[10]

- الخبرة والملكة والتمكن: فلا ينبغي أن يتصدر للعلم والفتيا والوعظ والإرشاد، إلا كل متمكن من فنه، عالم بما يقبل عليه، وإلا فإن ضره أكبر من نفعه، وشره أعظم من خيره، وإن صدمة المتعلم في العالم، سواء في علمه، أو سلوكه وخلقه، لمن أعظم المصائب، وأكبر البلايا، وأهم أسباب الانحراف والإلحاد! وكم من عالم ضيع علمه بسبب ضيق أفقه، أو عرض من الدنيا، **ومما يحكى عن شيخنا الشيخ عبد الله المنوفي رحمه الله** ت(749هـ/ 1348م) مما نقله وحكاه تلميذه الخليل عنه، أنه سافر هو والشيخ موسى المتقدم إلى الحجاز، ووصلا إلى شيخ عظيم في قومه في أهل بدر، ومعه رجل يريد أن يأكل بدينه، فأخذ ينافق ويعلو صوته بالمديح وهو يقول: يا أهل بدر مغفور لكم وإن فعلتم الكبائر !! فزجره الشيخ وقام خطيبا، لم يمنعه كثرة الحاضرين من البدريين، ولا كونه ضيفا عليهم، فالمؤمن القوي الورع لا يبيع دينه بعرض قليل من الدنيا، وقال يا شيخ: ما قال النبي ﷺ قولته تلك إلا لأنه أطلع على سرائر أهل بدر، وعلم أن الذين قاتلوا معه بتلك الروح وهذه العقيدة لا يصدر منهم مكروه أو ما يغضب الله أبدا! فلما زجر الشيخ وبعض طلابه وهما أن يفتكا بالشيخ، أصابهما من فورهما ألم شديد في البطن، لم يقدرا عليه، فعلما أن ذلك بسبب جرأتهما على هذا العبد الصالح، فهرعا إليه يطلبون التوبة والسماح وأن يعفوا عنهما، وأقرا بجرمهما، فوضع الشيخ يده على موضع الداء فشفيا بإذن الله[11]

---

[9] سلك الدرر، جـ2، صـ238

[10] صحيح مسلم، جـ4، صـ1804، رقم الحديث 2309.

[11] مناقب المنوفي ورقة 27.

ومن كلام بعض الحكما: «**مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ تَدْخُلُ الْآفَةُ عَلَى الْمُرِيدِينَ ، وَبِقُوَّةِ الْيَقِينِ وَصِدْقِ الْمُطَالَبَةِ يَكُونُ الْجِدُّ وَالِاجْتِهَادُ ، وَبِصِدْقِ الْخَوْفِ وَالْحَذَرِ تَسْلُو النَّفْسُ عَنِ الشَّهَوَاتِ**»[12] فينبغي علي الشيخ أن يأخذ نفسه بالجد والتحصيل والمذاكرة، وقوة العقيدة، وترك الهزل، وشغل النفس والوقت بالعبادة، وترك المزاح واللغو، وفضل الحديث، وكان مشايخنا من السلف رضوان الله عليهم لا ينامون، إلا القدر اليسير سويعات، تقيم ذهنهم، وتعين بدنهم، وباقي أوقاتهم في تدريس وتحصيل، وقيام وعبادة، وكان شيخنا المنوفي رحمه الله يرى أن الدنيا جيفة ميتة، وأن العاقل لا يأخذ منها إلا ما يقيم صلبه، فكان جل وقته في الدرس والعبادة، يصوم نهاره، ولا يفطر إلا إذا دعاه فقير إلى وليمة أو عرس، ويفر من الوجهاء والأكابر فراراه من الموت، ويكره ما يشغله عن تحصيل العلم، ورغم سعة علمه، وغزارة فكره، كان لا يتجرأ على الفتوى، على الرغم أن القضاة، والفقهاء من كل بقاع الدنيا يأتون إليه يستفتونه، وينزلون على رأيه، ومع هذا يتورع عن التصدر للفتوى اجتنابا للشبهات!

كذلك من شروط الشيخ المربي: أن يكون رحيما شفيقا، يقبل على طلابه كما يقبل الوالد على أولاده، يتواضع لهم، ويدنيهم منه، ويسمع منهم، ويهش لهم، كما كان يفعل سيدنا رسول الله ﷺ، وإلا فهو عون للشيطان عليهم، يفتح عندهم باب الشك، ويكون ثغرا يؤتى منه الإسلام وأهله! فمن لم يكن بتلك الأخلاق وعلى تلك الصورة فعليه أن يتنحى عن التصدر، وأن يتقي الله، فكم أوذي الإسلام بأخلاق وأمثال هؤلاء،

ولقد أحسن بعض الفلاسفة لما قال: مشكلة الدين ليست في التشريع أو النظريات، أو الخلاف بين الأئمة رضوان الله عليهم، بل إن مشكلة الدين الكبرى، وآفته العظمى في تصرفات بعض منسوبيه، وأنا أقول: إن أعظم مصائب الدين في تصرفات بعض شيوخ ورجال الفقه والحديث، ممن يتوسم فيهم الصلاح فيجعلون من الدين مطية، وسلم لبعض أغراض دنيوية، فيتصور البعض أن هذا هو الدين، وأن هذا أخلاق أهله!

أخلاق المريد أو طالب العلم: لطالب العلم صفات وسمات، وليس كل شخص يصلح لطلب العلم، أولها تقوى الله ﷻ مصداقا لقول الله سبحانه ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة: 282] فالعلم أولى شروطه

[12] اليقين: ابن أبي الدنيا، صـ39

التقوى، ولا ينال هذا العلم من كان في قلبه بدعة أو كبر أو حب للدنيا أو ميل إلى المعاصي، قال تعالى: (سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ) وما أجمل قول مولانا الشافعي رحمه الله:

شكوت إلي وكيع سوء حفظي ... فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأخبرني بأن العلم نور ... ونور الله لا يهدي لعاصي[13]

كذلك من شروط طالب العلم بعد حسن الخلق وتقوى الله، احترام المعلم، واعتباره بمثابة الوالد، **ولله در القائل** من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل أبدا، ولله در الشاعر حيث يقول:

الْعِلْمُ يَأْبَى كُلَّ ذِي ... خَفْضٍ وَيَأْبَى كُلَّ آبِي

كَالْمَاءِ يَنْزِلُ فِي الْوِهَادِ ... وَلَيْسَ يَصْعَدُ فِي الرَّوَابِي[14]

كذلك من آداب طالب العلم ألا يكثر على شيخه، وألا يرهقه من أمره عسرا، وأن يكون متيقظ الذهن، حاضر الروح، نقي السريرة، لا يفتش خلف أستاذه، ولا يسأله سؤالا يظهر فيه عجز شيخه فإن هذا من سوء الأدب، وأن يكون سؤاله في بابه الذي يشرحه شيخه، وألا يفرع الأمور في أكثر من باب، والحديث عن المريد والطالب تحتاج لبحث مستقل، لكن أردت أن أنوه أن طالب العلم، عليه أن يتحلى بحسن الخلق، وأن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي المغسل، وألا يكثر عليه اللغط حتى وإن بدا له ما يخالف عقله، طالما وثق في شيخه، وعلم أن شيخه من التقى والورع والعلم بمكان، ويقول الحبيب المصطفى ﷺ رحم الله أخي موسى استحيا، فقال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني، ولو ثبت مع صاحبه لأبصر الأعاجيب[15]

الطريق والمسلك: لابد أن نعلم أن الطريق الحق، وسلوك الطريق المستقيم بين يدي عالم جليل، مشهود له بالوسطية والاعتدال، معروف بالورع والتقى، هو طوق النجاة، وسبيل الفوز، وموجب للسعادة في الدارين، وإن هذا الصراط، هو طريق المرسلين الصالحين المصلحين من لدن آدم عليه السلام، وحتى نبينا الأكرم، ومن سلك

---

[13] تفسير الماتريدي، جـ1، صـ275

[14] الآداب الشرعية والمنح المرعية، ابن مفلح، جـ2، صـ25.

[15] السراج المنير: الخطيب الشربيني، جـ2، صـ395.

دربه، واستن بسنته، ودخل تحت زمرته، وعمل بقوله، وفهم أقوال صحابته، وتابع وقلد المجمع عليهم من التابعين، وتابعيهم حتى عصرنا، وهذا تفسير قول الحق ﷻ ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153] فالعلماء الأنقياء الأصفياء، هم ورثة الأنبياء، والطريق الواضح الذي لا لبس فيه، هو ما عليه الحبيب المصطفى ﷺ، وما قرره صحبه، وعليه عمل التابعين، ثم اجماع الأمة، في كل مصر وعصر، مع اعتبار تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان، ولذا فقد وضع الأصوليون ضوابطا، ترسم الطريق، وتبين السقيم من السليم، والمعوج من القويم، ومن أهم تلك الشروط التي تعد معالم لطريق اليقين ما يلي:

1- الاتصال : والمراد به أن يكون للعالم سند متصل بسيدنا رسول الله ﷺ، في أي فرع من فروع الشريعة، ولعل الأزهر مثلا يمثل تلك النقطة بشكل بارز وواضح، فكل إجازة من الأزهر، وكل شهادة هي في الاصل عبارة عن سلسلة سند متصل يمتد من الشيخ إلى المعلم الأعظم ﷺ وكل شيخ لا يملك سندا يفسد الطريق، ويشوه المعالم فما بني على باطل فهو باطل!

2- اتصاف العالم بالضبط والعدالة، وحسن الخلق، مع حسن المعتقد وقوة الدين، وإلا ففساد الشيخ يعني فساد المنهج، أو على الأقل فساد الاستدلال وضعف الاستنباط، وتخبط النتائج، وتشوه الحقيقة

3- موافقة الهدي النبوي، فكل عمل يخالف قول الله، وسنة نبيه، وكلام أهل العلم ممن أجمعت الأمة سلفا وخلفا على قبول قولهم، وعدتهم في صفوف المجتهدين، من أسباب التردي، والحيلولة دون وصول صحيح الدين، وكمال النص إلى المتعلم، أو المستمع والمتلقي، فيحدث خللا واضطرابا، من نتائجه الوصول إلى حالات الإلحاد والنفور.

سبل مواجهة الالحاد:

أسباب الالحاد وسبل المواجهة وتتلخص فيما يلي:

1- التفكك الأسري: إن من أهم أسباب الإلحاد، فالأسرة وتكوينها مسئولية خطيرة، وإن فساد الأسرة في طرفيها أو أحدهما يترتب عليه ضياع الأسرة بأكملها، ولما كانت الأسرة نواة المجتمع، فإن انتاج مثل هذه الأسر

الفاسدة، كالسوس ينخر في عظام المجتمع كله، ومن ثم شيوع مثل هذه الأفكار الهدامة، وتحويل الشاذ المنحرف إلى ظواهر منتشرة تفرض نفسها بقوة، ويتراجع أمامها كل قيم النبل والشرف والعفة، حتى تبدو وكأنها في خضم هذا المستنقع كالشعرة البيضاء في الثور الأسود! ولذا فإن اختيار الزوجين على أساس من الدين والعلم والتكافؤ، من أهم سبل علاج كل ظواهر الإلحاد والفساد والتردي الخلقي والمجتمعي والاقتصادي، ولذا فإن أول حلول تلك المشكلات يكمن في قول النبي ﷺ "تَخَيَّرُوا لِنُطَفِكُمْ، وَانْكِحُوا الْأَكْفَاءَ، وَأَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ" [16] والحديث في هذا يطول!

2- غياب دور مؤسسات التربية والثقافة والتعليم أو تهميشها: إن من أشد أسباب نشر أفكار الإلحاد، تغييب دور المؤسسات التوعوية، مثل التربية والتعليم والمنابر الدعوية المتنوعة، والبرامج الإعلامية، التي باتت تبحث عن العائد المادي وفقط، دون التركيز على جوهر المشكلات التي يعاني منها المجتمع، ولذا فإن الحل في عودة تلك المؤسسات إلى سابق عهدها، لا بد من عودة لمواد التربية الدينية، بثوب جديد، وشكل جديد، وخطاب معاصر، يعالج قضايا العصر ومنها مشكلة الإلحاد والتفكك الأسري وغيرهما، لا بد من وضع رؤية شاملة يشترك فيها كل المؤسسات المعنية، مع الاستعانة بالبحوث والدراسات والمقالات والكتب والمصنفات في تلك القضية، ووضع برنامج زمني وخطة عمل تهدف إلى القضاء على تلك الظاهرة، وسبل العلاج، وأدوات الحسم، وإلا فإن المجتمع كله عرضة لهذا الورم الخبيث، يتفشى في شبابها ويتسرب في بنيانها حتى يخر السقف، وتتهاوى العمد، وتتداعى علينا الأمم كما أخبر بذلك سيدنا رسول الله ﷺ

3- الخطاب الدعوي التنفيري: وإن شئت فقل التكفيري، ما بال بعض الدعاة والأدعياء، يصرون على أن الله سبحانه وﷻ إله التعذيب والانتقام والنار والحرق وحسب! وأنا لا أنكر هذا حاشا لله، فإن الملك سبحانه له مطلق التصرف، وكمال القدرة والجبروت، لكن كما خلق النار خلق الجنة، وكما خلق العذاب خلق الثواب، ورحمته سبحانه وسعت كل شيء كما أخبر عن نفسه ﷻ، ورحمته عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ، كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي "[17] فلماذا الحديث دوما بشدة وغلظة، ونهج النبي ﷺ كان أيسر الناس، وألينهم، يهش دوما ويبتسم، ولا يغضب إلا أن تنتهك حرمات

[16] سنن ابن ماجة، ت هادي، صـ422، رقم الحديث 1964
[17] مسند أحمد جـ12، صـ467، رقم الحديث 7499.

الله، إن الخطاب الدعوي والفكري بحاجة إلى وسطية، واعتدال بين التبشير والتنذير، بين بيان الجنة في مقابل النار، الثواب في مقابل العقاب، أن الرحمة أعم وأشمل وأوسع، وأن أبواب التوبة مفتوحة حتى للمشرك بالله، ما لم يصر على ذنبه، وأن الله غني عن عذابنا مصداقا لقوله ﷻ ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا 147 ﴾ [النساء: 147] إن الأمة بحاجة للتكاتف حول أئمتها، وتوقير علمائها ودعاتها، والوثوق في قامات الفكر والتنوير، وإبراز القيم العالية، وإماتة الباطل، والتنفير منه، ومحاربة كل عمل فاسد قميء يفسد من قيم المجتمع ويعلي من قيم الفساد والانحلال.

4- مخطط وحرب من حروب الجيل الرابع: وهي حروب لا تقتصر على الألة العسكرية فحسب، بل امتدت إلى ما هو أشد وأصعب، إن احتلال الأفكار وتخريب العقول، وهدم القيم من أهم مخططات جماعات الغرب المنحرفة، من خلال نشر قيم الانحلال والتردي، وتصوير العلاقة بين المخلوق والخالق على أنها علاقة وهمية، أوجدها رجال الدين لأغراض سياسية واقتصادية، ومحاولة نشر بذور الفتنة وتصدير التجربة العلمانية في أوربا في العصور الوسطى إلى المشرق وإلى العالم الإسلامي، وتصدير صورة مفادها أن الغرب قد صعد إلى القمر، وأن العرب لا يزالون يختلفون حول زكاة الفطر، وحول ركوب الدابة ودخول الخلاء! وغيرها من القضايا التي أثاروها وبذروها في دوائر المعارف الشبابية، وفي أشباه المثقفين الذين مكنوا لهم إعلاميا ودعائيا، حتى يكونوا جنودهم المخلصين، وعيونهم داخل أوساط المجتمع الإسلامي!

5- تخلف العرب عن ركب الحضارة: للأسف هذا العامل من أهم عوامل الإلحاد، أولا اصرار بعض الجماعات على حمل المسلمين على مظهر بعينه، مع الإصرار أن هذا هو جوهر الدين! وترك الجوهر واللب، والتمسك بالقشور، مما أفقدنا الاثنين! فلا نحن وصلنا في الشريعة وعلوم اللغة والعربية مبلغ من سبقونا، بل قلدنا ولفقنا، فلا بتنا نعرف المجتهد من المقلد من الملفق من المجدد!! ولا وصلنا في علوم الكون والطبيعة والحيل، والكيماء وعلوم الطب والصيدلة والفلك والبيطرة وغيرها معشار ما بلغه ابن سينا مثلا! أو الرازي، أو ابن النفيس أو بن حيان! ولعل هذا التخلف وعدم مسايرة الواقع العلمي، والتقوقع داخل شرنقة التعصب، وأحادية النظرة، وعدم الايمان بالتعددية، مع هجر العلوم العقلية والطبية وغيرها من علوم الدنيا، بل وصل بالبعض أن اعتبر هذا دربا من العبث، وأنه علم لا ينفع!! وكأنه يصدر لنا نفس تجربة أوربا في العصور الوسطى، الذين قالوا بأن الطب

عبث وخرافة، ونحن الآن نجد البعض يرجع كل مرض أو فاقة أو ضيق أفق لأمرين لا ثالث لهما، إما السحر وإما الحسد!! وأنا لا أنكر السحر أو الحسد، لكن ليس من الممكن أن كل مرض أو داء أو سقم أو سوء تقدير وتفكير نرجعه إلى السحر والحسد، ونعطي فرصة للدجالين وتجار الدين والوهم بالتربح والكسب على حساب بسطاء العلم، فقراء المال، فقراء العقيدة!

والحق أننا أمام مرض عضال، يحتاج لتكاتف من الجميع، شخصت بعض أسبابه، وذكرت بعض علاجه، وعلاج هذا الأمر برمته في التمكين لأهل الشرع والدين، وأهل العلم والفكر، والمزج بين التراث والمعاصرة، والقديم والحديث، ومخاطبة الشباب والنزول إلى مستوى تفكيرهم وأذكر في عجالة بعض الأدوات التي تمكن من هذا

1- عمل منصات دينية ثقافية برعاية الأزهر الشريف والتعليم العالي ووزارة الثقافة والشباب والرياضة، وغيرها من الوزرات هدفها الوصول إلى أكبر قدر ممكن من الشباب وتعريفهم بصحيح الدين ومناقشة أفكارهم

2- ترجمة كل الأعمال التي تتحدث عن الشرق الإسلامي ورد الشبهات العلمية والفكرية بالحجة والدليل والبرهان

3- تكثيف الدورات التدريبية للدعاة والأئمة وأنا هنا أثمن دور وزارة الأوقاف ونشاطها في هذا الباب، كذلك دور الأزهر ودور أكاديمية التدريب التي دشنها فضيلة الأستاذ الدكتور مُحَمَّد حسين المحرصاوي – رحمه الله- تحت رعاية فضيلة الإمام الأكبر – حفظه الله، ودورها الفاعل في التعريف بصحيح الدين وتصحيح المفاهيم

4- تجديد الخطاب الديني والثقافي والدعائي والإعلامي بما يتوافق مع لغة العصر، ويجمع بين التراث والمعاصرة، ولا يخل بقواعد الدين ولا أصوله

كتبه ورتبه د محمد سالم الصعيدي الشافعي الأزهري، الأستاذ المشارك بجامعة الأزهر الأنور